

"سجن الحرم".. ذاكرة معارض في أقبية المخابرات السعودية



التغيير

لم تحظ تجارب سجناء الرأي في المملكة بالتغطية الإعلامية اللازمة، ليس بسبب ندرة المؤسسات الإعلامية التي تعنى بالشأن الخليجي عامة والمحلي على وجه الخصوص، ولكن لندرة الناجين من تلك السجون والذين سمح لهم إما بالخروج وتأمين عائلاتهم، أو ممن أقدموا على البوح بما عايشوه في سجون آل سعود.

ولقد كانت تجربة مخابرات آل سعود مع الكاتب والإعلامي جمال خاشقجي، الذي قتل بطريقة بشعة في قنصلية بلاده في إسطنبول، واحدة من أفظع التجارب التي عكست طبيعة تعامل سلطات المملكة مع خصومها السياسيين..

عدا ذلك، اقتصر أمر السجون في المملكة على ما تصدره المنظمات الحقوقية الدولية، وهي شحيحة،

بالنظر إلى المعلومات الضئيلة عن حال المعتقلين، فضلا عن أن جزءا كبيرا من هؤلاء المعتقلين، لا سيما في السنوات الأخيرة، هم من أنصار علماء الدين الإصلاحيين، الذين يواجهون حربا ضروسا استهدفتهم منذ اندلاع ثورات الربيع العربي أواخر العام 2010 من تونس.

الناشط المعارض سلطان العبدلي، الذي اختار بريطانيا مقرا لإقامته، صدم أفق التوقع، وأصدر كتابا هو أشبه بيوميات سجين سابق، في كتاب حمل عنوان: "سجن الحرم: 200 يوم في ضيافة المخابرات السعودية"، الصادر عن مركز الجزيرة العربية لتعزيز الحريات، في أيلول (سبتمبر) 2020.

يروى الكتاب، الذي توشح غلافه باللون الأسود، والذي يغطي 271 صفحة من الحجم المتوسط، قصة سلطان العبدلي، نشأته وتكوينه الاجتماعي والديني والفكري.. وهو عبارة عن مجموعة من الخواطر التدوينية لمسيرة سلطان العبدلي التي تعكس في جزء كبير منها نشأة جيل الإصلاح السلمي في المملكة، الذي تربي على قيم الإسلام التي تكرم ابن آدم، وتشرب الثقافات الحديثة من خلال إقدامه على المطالعة وتعلم اللغات الأجنبية، بل إن كثيرا من أبناء المملكة تلقوا تعليمهم الجامعي في العواصم الغربية..

يقول العبدلي في مقدمة كتابه مبررا اختيار عنوانه: "فبعد الرصد استشرت عددا من المحبين، ومنهم أبو عمرو الدكتور محمد الأحمرى والدكتور محمد الشنقيطي وكان في ذهني أسماء طنتها ملفته ومعبرة، ولكن بعد الشورى، انقذ في ذهني عنوان لهذه التجربة، وكنت كلما لقيت من أثق بعقله وأدبه وعلمه طرحت العنوان بين يديه فإذا به يستحسنه فعزمت على وسمه بـ: (سجن الحرم) 200 يوم في أقبية المخابرات السعودية".

ويضيف: "للارتباط الجغرافي بحرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والروحي والإسقاط مقصود، إذ كيف يكون سجن وظلم وحرمان؟ تناقض لم يجمعها إلا هذا النظام البائس الذي تسمح بالإسلام، حتى لفظ نفسه تكريما للإسلام من ممارسات الخداع والمداورة، حيث العواهر أصبحن يمتطين الكورنيش جوار الحرم!".

وحول مضمون الكتاب، الأقرب إلى المذكرات والسير الذاتية، قال العبدلي: "ذكرت ما يمكن أن يقال إنه نافع ومفيد، وذكرت فيه أحزانا ومآسي مبكية ولطائف وأحوالا ورؤى، وحتى لا أثقل على القارئ سيما أنه موضوع يهم الجميع حاولت وعلى سجيتي التي أحبها أن أقدمه تقدما مباشرا مكسوا بالأدب والشعر، وذكرت شيئا من الخلفية الدينية وزمن الصحوة وهو ليس كزمان الصمت الذي نحياه الآن، حيث كانت مرحلة ثروة مفصلية، ثم عرجت على النسب والمرايع وما تفيأت ظلاله من البلاد ولمحة عن حركة دؤوبة في حب السياسة، وقد كرعت سلاف الوعي المبكر، وثم مراحل مهمة، ومنعرجات لا ينبغي إغفالها، ولا أخفي أنني مزجت العاطفة

بالفكرة والتجربة بالذكرى، وظللت على هذا النسق في كل ما ذكرته ومنه تتبين نفسي ولا أواريتها، وقد اتفقنا على شرعة الوضوح والاتفاق شريعة المتعاقدين".

بهذه المزاجية بين الذاتي والموضوعي، وبين الوقائع والذكريات، وبين الحنين والوجع، جاء كتاب العبدلي مقسما على 51 خاطرة، هي عبارة عن تحقيق زمني لمسيرة حياته طالبا ثم داعية، مستفيدا من الدعوات الإصلاحية التي رافقت صعود الديمقراطيين الأمريكيين، وما أشاعته من روح انفتاح ديمقراطي في العالم ومنها المملكة.

يقدم العبدلي لقصته مع سجن المدينة المنورة بالحديث عن صورة السجن في التاريخ الإسلامي، لدى الفقهاء والشعراء والسياسيين، قبل أن يدخل إلى الكتابة عن تجربته في سجن المدينة المنورة، التي استمرت قرابة سبعة أشهر.. ومع الصورة النمطية التي نقلتها سير معتقلي الرأي من المنتمين للتيار الإسلامي عامة في العقود الخمسة المنصرمة، وربما كانت مصر في مقدمتها، فإن ما يميز تجربة العبدلي هو طبيعة نظام آل سعود التي ظلت حتى يوم الناس هذا محاطة بكثير من الغموض، سوى حكايات نادرة تتناولها المنظمات الحقوقية الدولية..

لعل البارز في كتاب العبدلي، الذي اختار العاصمة البريطانية منفى له، هو طبيعة التيار الإصلاحي في المملكة، وأن جل ما كان يطالب به فقط هو الحرية في اختيار الحكام بعيدا عن كل مظاهر الاستبداد بما فيها التوريث..

ضم الكتاب، الذي سيظل واحدا من الشهادات الحية عن سجون آل سعود، مجموعة من القصائد الشعرية للكاتب نفسه، بعضها كتبها بالسجن، وبعضها الآخر كتبها بعد خروجه إلى المنفى، بالإضافة لعدد من الصور التي تؤرخ لأهم الحقب العلمية التي مر بها العبدلي، من الابتدائية إلى الثانوية إلى الجامعة، ثم السجن.